الأخوة في الله

الشيخ
محمد حسان

دار ابن رجب

الطبعة الأولى

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م

دار ابن رجب طبع. نشر. توزيع

فارسكور : تليفاكس ٠٠٢٠٥٠٧٤٤١٥٥٠ جوال : ٠١٢٢٣٦٨٠٠٢

المنصورة : شارع جمال الدين الأفغاني هاتف : ٠٠٢٠٥٠٢٣١٢٠٦٨

الأخوة في الله

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

أحبتي في الله

إننا اليوم على موعد مع موضوع من الأهمية القصوى بمكان ، وهو بعنوان « **الأخوة في الله** »

وكما تعودنا دائمًا سوف ينتظم حديثنا مع حضراتكم تحت هذا العنوان الرقيق في العناصر التالية :-

أولًا : حقيقة الأخوة في الله .

ثانيًا : حقوق الأخوة .

ثالثًا : الطريق إلى الأخوة .

أولًا : حقيقة الأخوة .

أحبتي في الله : لقد أصبحت الأمة اليوم كما تعلمون غثاءً كغثاء السيل ، لقد تمزق شملها وتشتت صفها ، وطمع في الأمة الضعيف

قبل القوي ، والذليل قبل العزيز ، والقاصي قبل الداني ، وأصبحت الأمة قصعة مستباحة كما ترون لأحقر و أخزى وأذل أمم الأرض من إخوان القردة والخنازير ، والسبب الرئيسي أن العالم الآن لا يحترم إلا الأقوياء ، والأمة أصبحت ضعيفة ؛ لأن الفرقة قرينة للضعف ، والخذلان ، والضياع ، والقوة ثمرة طيبة من ثمار الألفة والوحدة والمحبة ، فما ضعفت الأمة بهذه الصورة المهينة المخزية إلا يوم أن غاب عنها أصل وحدتها وقوتها

ألا وهو « **الأخوة في الله**» بالمعنى الذي جاء به رسول الله ﷺ، فمحال أن تتحقق الأخوة بمعناها الحقيقي إلا على عقيدة التوحيد بصفائها وشمولها وكمالها .

كما حولت هذه الأخوة الجماعة المسلمة الأولى من رعاة للغنم إلى سادة وقادة لجميع الدول والأمم .

يوم أن تحولت هذه الأخوة التي بنيت على العقيدة بشمولها وكمالها إلى واقع عملي ومنهج حياة ، تجلى هذا الواقع المشرق المضيء المنير

يوم أن آخى النبي ﷺ ابتداءً بين الموحدين في مكة ، على الرغم من اختلاف ألوانهم وأشكالهم ، وألسنتهم وأوطانهم ، آخى بين حمزة القرشي ، وبلال الحبشي ، وصهيب الرومي ، وأبي ذر الغفاري ، وكأني بهؤلاء القوم يهتفون بهذه الأنشودة العذبة الحلوة .

أَبِي الإِسْلَامُ لَا أَبَ لِي سِوَاهُ
إِذَا افْتَخَـرُوا بِقَيْسٍ أَوْ تميمِ

راحوا يرددون جميعًا على لسان رجل واحد قول الله ﷻ : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ

فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات : ١٠] . هـذه هي المرحلة الأولى من مراحل الإخاء .

ثم آخى النبي ﷺ - ثانيًا - بين أهل المدينة من الأوس والخزرج ، بعد حروب دامية طويلة ، وصراع مر مرير ، دُمر فيه الأخضر واليابس !!

ثم آخى رسول الله ﷺ بين أهل مكة من المهاجرين وبين أهل المدينة من الأنصار ، في مهرجان حُبٍّ لم تعرفْ ولن تعرفَ البشرية له

مثيلًا ، تصافحت فيه القلوب ، وامتزجت فيه الأرواح ، حتى جسد هذا الإخاء هذا المشهد الرائع الذي جاء في الصحيحين من حديث أنس بن مالك ﷺ قال : قدم علينا عبد الرحمن ابن عوف وآخى النبي ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع - وكان كثير المال - فقال سعد : قد علمت الأنصار أني من أكثرها مالًا ، سأقسم مالي بيني وبينك شطرين ، ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك ، فأطلقها حتى إذا حَلَّتْ تزوجْتَها . فقال عبد الرحمن : بارك الله لك في

أهلك . فلم يرجع يومئذٍ حتى أَفْضَلَ شيئًا من سَمْنٍ وأقطٍ ، فلم يَلْبث إلا يسيرًا حتى جاء رسول الله ﷺ وعليه وَضَرٌ من صُفرةٍ فقال له رسول الله ﷺ « **مَهْيَمْ ؟** » قال : تزوجتُ امرأةً من الأنصار قال : « **مَا سُقتَ فِيهَا ؟** » قال : وزن نواة من ذهب - أو نواةٍ من ذهب - فقال : « **أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ** »[1].

---

(١) **متفق عليه** : رواه البخاري رقم (٣٧٨١) في مناقب الأنصار ، ومسلم رقم (١٤٢٧) في النكاح .

وقد نتحسر الآن على زمن سعد بن الربيع ونقول أين سعد بن الربيع الذي شاطر أخاه ماله وزوجه ؟!!

والجواب : ضاع ، وذهب يوم أن ذهب عبد الرحمن بن عوف .

فإذا كان السؤال : من الآن الذي يعطي عطاء سعد ؟! فإن الجواب : وأين الآن من يتعفف بعفة عبد الرحمن بن عوف ؟!!

لقد ذهب رجل إلى أحد السلف فقال : أين ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا

وَعَلاَنِيَةً ﴾ [البقرة : ٢٧٤]

فقال له : ذهبوا مع من ﴿ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ [البقرة : ٢٧٣]

هذا مشهد من مشاهد الإخاء الحقيقي بمعتقد التوحيد الصافي بشموله وكماله ، والله لولا أن الحديث في أعلى درجات الصحة لقلت إن هذا المشهد من مشاهد الرؤيا الحالمة .

هذه هي الأخوة الصادقة ، وهذه هي حقيقتها فإن الأخوة في الله لا تبنى إلا على أواصر العقيدة وأواصر الإيمان وأواصر الحب في الله ،

تلكم الأواصر التي لا تنفك عراها أبدًا .

الأخوة في الله نعمة جمة من الله ، وفضل فيض من الله يغدقها على المؤمنين الصادقين ، الأخوة شراب طهور يسقيه الله للمؤمنين الأصفياء والأذكياء .

لذا فإن الأخوة في الله قرينة الإيمان لا تنفك عنه ، ولا ينفك الإيمان عنها فإن وجدت أخوة من غير إيمان ، فاعلم يقينًا أنها التقاء مصالح ، وتبادل منافع ، وإن رأيت إيمان بدون أخوة صادقة فاعلم يقينًا أنه إيمان

ناقص يحتاج صاحبه إلى دواء وعلاج لمرض فيه ، لذا جمع الله بين الإيمان والأخوة في آية جامعة فقال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾

إن الأخوة الموصلة بحبل الله المتين نعمة امتن بها ربنا جل وعلا على المسلمين الأوائل فقال سبحانه : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ۝ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ الله جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ

مِنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[آل عمران : ١٠٢-١٠٣]

فالأخوة نعمة من الله امتن بها الله على المؤمنين وقال تعالى : « فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ » وقال تعالى: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[الأنفال : ٦٣]

ثانيًا : حقوق الأخوة في الله .

الحق الأول : الحب في الله والبغض في الله .

ففي الحديث الذي رواه أبو داود والضياء

المقدسي وصححه الشيخ الألباني من حديث أبي أمامة الباهلي أنه ﷺ قال « **مَنْ أَحَبَّ لله ، وَأَبْغَضَ لله وَأَعْطَى لله وَمَنَعَ لله فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الإِيمَانَ** »[1] .

وفي الصحيحين من حديث أنس أنه ﷺ قال : « **ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ ، أَنْ يَكُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ،**

---

(١) رواه أبو داود (٤٦٨١) في السنة ، باب الدليل على زيادة الإيمان ، وأخرجه أيضًا أحمد في المسند (٣/ ٤٣٨) وهو في صحيح الجامع (٥٩٦٥) .

وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لله ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ »[1] .

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُم اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ ، إِمَامٌ عَادِلٌ ، شَابٌ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ الله وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالمَسَاجِدِ ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي الله ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ ، وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتَ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ ، فَقَالَ :

---

(١) **متفق عليه** : رواه البخاري رقم (١٦) في الإيمان ، ومسلم رقم (٤٣) في الإيمان .

إِنِّي أَخَافُ اللهَ ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ »(١).

هل فكرت في هذا الحديث النبوي الشريف ؟!! يوم تدنو الشمس من الرؤوس ، والزحام وحده يكاد يخنق الأنفاس ، فالبشرية كلها - من لدن آدم إلى آخر رجل قامت عليه الساعة - في أرض المحشر ، وجهنم تزفر

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٤٢٣) في الزكاة ، باب الصدقة باليمين ، ومسلم (١٠٣١) في الزكاة .

وتزمجر ، قد أُتِيَ بها « لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا »[١] في ظل هذه المشاهد التي تخلع القلب ، ينادى الله ﷻ على سبعة ليظلهم في ظله يوم لا ظل إلا ظله - سبحانه وتعالى - من هؤلاء السبعة السعداء ؟! رجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، يالها ورب الكعبة من كرامة !!

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ

(١) صحيح : رواه مسلم رقم (٢٨٤٢) في صفة الجنة ، باب في شدة حر نار جهنم .

أن النبي ﷺ قال : « إِنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى ، فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ ، مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ : أَيْنَ تُرِيدُ ؟ فَقَالَ : أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ القَرْيَةِ . قَالَ : هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا ؟ قَالَ : لَا . غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي الله ﷻ ، قَالَ : فَإِنِّي رَسُولُ الله إِلَيْكَ بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ »[1]

---

(١) **صحيح** : رواه مسلم رقم (٢٥٦٧) في البر و الصلة ، باب فضل الحب في الله .

عن أبي إدريس الخولاني - رحمه الله - قال : دخلت مسجد دمشق فإذا فتى شاب برَّاق الثَّنايا والناس حوله فإذا اختلفوا في شيء أسندوه إليه ، وصدروا عن قوله ورأيه . فسألت عنه ، فقيل : هذا معاذ بن جبل ﷺ فلما كان الغد هجَّرت ، فوجدته قد سبقني بالتهجير ، ووجدته يصلي ، فانتظرته حتى قضى صلاته ثم جئته من قِبَل وجهه ، فسلَّمت عليه . ثم قلت : والله إني لأحبُّك في الله ، فقال : آلله ؟ فقلت : آلله ، فقال : آلله ؟ فقلت :

آلله ، فقال : آلله ؟ فقلت : آلله ، قال : فأخذ بحبوة ردائي ، فجبذني إليه ، وقال : أبشر ، فإني سمعت رسول ﷺ يقول : **قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيّ ، وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيّ ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيّ ، وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيّ** »[1]

وفى الحديث الذي رواه مسلم ، وأبو داود أنه ﷺ قال : « **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابوا أَوَلَا**

---

(١) أخرجه الإمام مالك في الموطأ (٢/ ٩٥٣ ، ٩٥٤) في الشعر ، باب ما جاء في المتحابين في الله .

أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ : أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ »[1] .

فسلم على أخيك بصدق وحرارة ، لا تسلم سلامًا باهتًا باردًا لا حرارة فيه.

إننا كثيرًا لا نشعر بحرارة السلام واللقاء ولا بإخلاص المصافحة ...لا نشعر أن القلب قد صافح القلب !!

ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال عليه الصلاة والسلام « **النَّاسُ مَعَادِنٌ**

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم رقم (٥٤) في الإيمان .

كَمَعَادِنِ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ ، فَخِيَارُهُم فِي الإِسْلَامِ خِيَارُهُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ إِذَا فَقُهُوا ، وَالأَرْوَاحِ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ »[1].

قال الخطابي: فالخَيِّر يحنو إلى الأخيار ، والشرير يحنو إلى الأشرار هذا هو معنى « **فما تعارف من الأرواح ائتلف وما تنافر وتناكر منها اختلف** » لذا لا يحب المؤمن إلا من هو

(١) **صحيح**: رواه مسلم رقم (٢٦٣٨) في البر والصلة .

على شاكلته من أهل الإيمان والإخلاص ولا يبغض المؤمنَ إلا منافقٌ خبيثُ القلب ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾[مريم : ٩٦]

أي يجعل الله محبته في قلوب عباده المؤمنين ، وهذه لا ينالها مؤمن على ظهر الأرض إلا إذا أحبه الله ابتداءً . كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلُ فَقَالَ : إِنِّي أُحِبُّ فُلاَنًا ، فَأَحِبَّهُ . قَالَ : فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ ، ثُمَّ يُنادِي

فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ : إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ . قَالَ : ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي الأَرْضِ ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلُ فَيَقُولُ : إِنِّي أُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ فَقَالَ : فَيَبْغُضُهُ جِبْرِيلُ ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَمَاءِ : إِنَّ اللهَ يَبْغَضُ فَلَانًا فَأَبْغِضُوهُ . قَالَ : فَيَبْغَضُونَهُ . ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ البَغْضَاءُ فِي الأَرْضِ »[1]

---

(١) **متفق عليه** : رواه البخاري رقم (٣٢٠٩) في بدء الخلق ، ومسلم (٢٦٣٧) في البر والصلة ، الموطأ (٢/ ٩٥٣) في الشعر ، والترمذي رقم (٣١٦٠) في التفسير .

أيها الأحباب الكرام :

المرء يوم القيامة يحشر مع من يحب ، فإن كنت تحب الأخيار الأطهار ابتداءً من نبيك المختار وصحابته الأبرار والتابعين الأخيار ، وانتهاء بإخوانك الطيبين فإنك ستحشر معهم إذا شاء رب العالمين وإن كنت تحب الخبث والخبائث ، وأهل الفجور ، واللهو واللعب كنت من الخاسرين فتحشر معهم إذا شاء رب العالمين .

ففي الصحيحين من حديث أنس بن مالك ﷺ : أن رجلًا سأل النبي ﷺ عن الساعة . فقال يا رسول الله متى الساعة ؟ قال : « **وَمَا أَعْدَدْتَ لَهَا** ؟ ». قال : لا شيء ، إلا أني أحب الله ورسوله . فقال : « **أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ** » قال أنس : فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي ﷺ : « **أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ** » قال أنس فأنا أحب النبي ﷺ وأبا بكر وعمر ، وأرجو أن أكون معهم بُحبِّي إياهم ، وإن لم أعمل

بعملهم))[1].

ونحن نُشهِدُ اللهَ أننا نحبُّ رسولَ الله وأبا بكر ، وعمر ، وعثمان وعليًّا وجميع أصحاب الحبيب النبي ، وكل التابعين لنهجه ودربه المنير ، ونتضرع إلى الله بفضله لا بأعمالنا أن يحشرنا معهم جميعًا بمنه وكرمه وهو أرحم الراحمين .

ومن السُّنَّة إذا أحب الرجل أخاه أن يخبره

(١) **متفق عليه** : رواه البخاري رقم (٣٦٨٨) في فضائل أصحاب النبي ﷺ ومسلم رقم (٢٦٣٩) في البر والصلة .

كما في الحديث الصحيح الذي رواه أبو داود من حديث المقدام بن معد يكرب ﷺ أن النبي ﷺ قال : « **إِذَا أَحَبَّ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَلْيُخْبِرْهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ** »[1].

وفي الحديث الذي رواه أبو داود من حديث أنس : أن رجلًا كان عند النبي ﷺ فمر به رجل فقال : يا رسول الله ! إني لأحب هذا . فقال له النبي ﷺ : « **أَعْلَمْتَهُ ؟** » قال :

(١) رواه أبو داود (٥١٢٤) في الأدب ، والترمذي (٢٣٩٣) في الزهد ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٧٩).

لا . قال : « **أَعْلِمْهُ** » قال : فلحقه ، فقال : إني أحبك في الله . فقال : أحبك الذي أحببتني له[1] .

وفي الحديث الذي رواه أبو داود وأحمد وغيرهما من حديث معاذ بن جبل أن النبي ﷺ أخذ ، بيده وقال : « **يَا مُعَاذُ وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ** » .

فقال معاذ : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، فوالله إني لأحبك . فقال ﷺ : « **أُوصِيكَ يَا**

---

(١) رواه أبو داود رقم (٥١٢٥) في الأدب ، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبى داود (٤٢٧٤) .

مُعَاذُ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ تَقُولُ : اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ »[١].

الحق الثاني : أن لا يحمل الأخ لأخيه غِلًّا ولا حسدًا ولا حقدًا .

أحبتي في الله :

المؤمن سليم الصدر ، طاهر النفس ، نقي تقي القلب ، رقيق المشاعر رقراق العواطف ، ينام على فراشه آخر الليل لا يحمل ذرة حقد ،

(١) رواه أبو داود رقم (١٥٢٢) في الصلاة ، باب الاستغفار ، والنسائي (٣/ ٥٣) في السهو .

أوغل ، أو حسد لمسلم البتة على وجه الأرض ، والنبيﷺ يقول كما في الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .

« **لَا تَبَاغَضُوا ، وَلَا تَدَابَرُوا ، وَلَا تَنَافَسُوا ، وَكُونُوا عِبَادَ الله إِخْوانًا** »[1].

إن الحقد والحسد من أخطر أمراض القلوب والعياذ بالله ، فيرى الأخ أخاه في نعمة ، فيحقد عليه ويحسده ، ونسي هذا الجاهل

(١) **متفق عليه** : رواه البخاري (٦٠٦٥) في الأدب ، ومسلم (٢٥٦٣) في البر والصلة .

ابتداءً أنه لم يرض عن الله الذي قسم الأرزاق ، فليتق الله وليعد إلى الله سبحانه وتعالى ، وليسأل الله الذي وهب وأعطى أن يهبه ويعطيه من فضله ، وعظيم عطائه ، ويردد مع هؤلاء الصادقين : ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحشر : ١٠]

وردد مع هؤلاء بصفاء ، وصدق ، وعمل ، فقد قال الله فيهم : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا

يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[الحشر: ٩]

ففي مسند أحمد بسند جيد من حديث أنس قال كنا جلوسًا عند النبي ﷺ فقال: «يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الآنَ رَجُلٌ مِنَ أَهْلِ الجَنَّةِ» فطلع رجل من الأنصار، تنطف لحيته من وضوئه، قد تعلق نعليه في يده الشمال، فلما كان الغد قال النبي ﷺ مثل ذلك، فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى، فلما كان اليوم الثالث، قال النبي

ﷺ مثل مقالته أيضًا ، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى ، فلما قام النبي ﷺ ، تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال : إني لاحَيْتُ أبي فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثا ، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي فعلت ؟ قال : نعم ، قال أنس : وكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الليالي الثلاث ، فلم يره يقوم من الليل شيئًا غير أنه إذا تعارَّ - أي انتبه في الليل - وتقلب على فراشه ذكر الله ﷻ وكبرّ حتى يقوم لصلاة الفجر ، قال عبد الله :

غير أني لم أسمعه يقول إلا خيرًا ، فلما مضت الثلاث ليالٍ وكدت أن أحتقر عمله ، قلت يا عبد الله ! إني لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجر ثَمَّ ، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول لك ثلاث مرار : « **يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ** » ، فطلعت أنت الثلاث مرار ، فأردت أن آوي إليك لأنظر ما عملك فأقتدي به ، فلم أرك تعمل كثير عمل فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ ؟! قال : ما هو إلا ما رأيت . قال فلما وليت دعاني

فقال : ما هو إلا ما رأيت غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشًّا ولا أحسد أحدًا على خير أعطاه الله إياه . فقال عبد الله : هذه التي بلغت بك ، وهي التي لا نطيق[1] .

إن سلامة الصدر من الغل والحسد بلغت بهذا الرجل أن يشهد له رسول الله ﷺ بالجنة وهو في الدنيا .. يا لها من كرامة .

---

(١) رواه أحمد في المسند (٣/ ١٦٦) رقم (١٢٦٩٧) وقال محققه إسناده صحيح ، والحاكم في المستدرك (٣/ ٧٣) وصححه ووافقه الذهبي .

الحق الثالث : طهارة القلب والنفس .

إن من حقوق الأخوة في الله أنك إن لم تستطع أن تنفع أخاك بمالك فلتكف عنه لسانك ، وهذا أضعف الإيمان ، فإن تركنا الألسنة تُلقي التهم جزافًا دون بينة أو دليل ، وتركنا المجال فسيحًا لكل إنسان أن يقول ما شاء في أي وقت شاء ، فإنما ينتشر بذلك الفساد والحسد ، والبغضاء ، فإن اللسان من أخطر جوارح هذا الجسم ، قال الله جَلَّ وَعَلَا : ﴿ **مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ** ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ﴾ [النور : ١٩]

وقال جَلَّ في علاه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللهُ دِينَهُمُ الحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ هُوَ الحَقُّ المُبِينُ ﴾ [النور : ٢٣ - ٢٥]

اتق الله ، أمسك عليك لسانك ، فوالله ما من كلمة إلا وهي مسطرة عليك في كتاب عند الله لا يضل ربي ولا ينسى .

ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ أنه ﷺ قال : « **مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ** »[1].

وفي الصحيحين من حديث أبي موسى قلت : يا رسول الله ! أي المسلمين أفضل ؟ قال : « **مَنْ**

---

(١) **متفق عليه** : رواه البخاري رقم (٦١٣٨) في الأدب ومسلم رقم (٤٨) في الإيمان .

سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ))[1] .

عن أبي هريرة واللفظ للبخاري أنه ﷺ قال :

((إِنَّ العَبْدَ لِيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ الله ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا ، فَيَرْفَعُهُ اللهُ بِهَا فِي الجَنَّةِ ، وَإِنَّ العَبْدَ لِيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ الله ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا ، فَيَهْوَى بِهَا فِي جَهَنَّمَ))[2].

---

(١) **متفق عليه** : رواه البخاري رقم (١١) في الإيمان ، ومسلم رقم (٤٢) في الإيمان .

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري رقم (٦٤٧٨) في الرقاق ومسلم رقم (٢٩٨٨) في الزهد .

وفى حـديث ابن عمر أن النبـي ﷺ قال : ((**الرِّبَا اثْنَانِ وَسَبْعُونَ بَابًا أَدْنَاهَا مِثْلُ إِتْيَانِ الرَّجُلِ أُمَّهُ ، وَإِنَّ أَرْبَى الرِّبَا اسْتِطَالَةُ الرَّجُلِ فِي عِرْضِ أَخِيهِ**))[1]

وأختم هذه الطائفة النبوية الكريمة بهذا الحديث الذي يكاد يخلع القلب والحديث رواه الإمام أحمد في مسنده ،وأبو داود في سننه

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (١/ ١٤٣) ، وقال الألباني في الصحيحة (١٨٧١) : والحديث بمجموع طرقه صحيح ثابت ، وهو في صحيح الجامع (٣٥٣٧) .

من حديث يحيى بن راشد قال ﷺ : ((... **مَنْ قَالَ فِي مُؤْمِنٍ مَا لَيْسَ فِيهِ أَسْكَنَهُ اللهُ رَدْغَةَ الخَبَالِ حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ**))[١]. وردغة الخبال : عصارة أهل النار ، والرَّدغة - بفتح الدال وسكونها -: الماء والطين .

والله لو نحمل في قلوبنا ذرة إيمان ونسمع حديثًا من هذه الأحاديث لأَلْجَمَ الإنسانُ لسانَه بألف لجام قبل أن يتكلم كلمة . وفكر

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٧٠) وقال الشيخ شاكر : إسناده صحيح .

ألف مرة قبل أن يتكلم مرة !!

الحق الرابع : الإعانة على قضاء حوائج الدنيا على قدر استطاعتك .

واسمع إلى هذا الحديث الذي تتلألأ فيه أنوار النبوة : عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : أن رجلًا جاء إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ! أي الناس أحب إلى الله ؟ وأي الأعمال أحب إلى الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : « **أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى الله تَعَالَى أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ ، وَأَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ عَجَلَه سُرورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ ، أَوْ**

تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً ، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا ، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا ، وَلأَنْ أَمْشِي مَعَ أَخِي المُسْلِمِ فِي حَاجَةٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي المَسْجِدِ شَهْرًا - يَعْنِي : مَسْجِدَ المَدِينَةِ - وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظًا- وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ- مَلأَ اللهُ قَلْبَهُ رِضًى يَوْمَ القِيَامَةِ ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ المُسْلِمِ فِي حَاجَتِهِ حَتَّى يُثْبِتَهَا لَهُ ، أَثْبَتَ اللهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزِلُّ الأَقْدَامُ ، وَإِنَّ سُوءَ الخُلُقِ لَيُفْسِدُ العَمَلَ كَمَا

يُفْسِدُ الخَلُّ العَسَلَ »[1].

فمن حق المسلم على المسلم إن استطاع أن يعينه في أمر من أمور الدنيا أن لا يبخل عليه .

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة يقول المصطفى ﷺ : « **مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ**

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج ص ٨٠ رقم ٣٦ وحسنه الألباني في الصحيحة (٩٠٦) ، وهو في صحيح الجامع (١٧٦) .

اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، وَاللهُ فِي عَوْنِ العَبْدِ مَا كَانَ العَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ ... »[1].

فيا أخي المسلم ، يا منْ منَّ الله عليك بمنصبٍ أو جاه . إن استطعت أن تنفع إخوانك فافعل ولا تبخل ، وبالمقابل يجب على المسلمين أن لا يكلفوا إخوانهم بما لا يطيقون ، وإن كلفوهم فعجزوا فليعذروهم قال تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة : ٢٨٦]

---

(١) **صحيح** : رواه مسلم رقم (٢٦٩٩) في الذكر والدعاء .

وما أجمل أن يقول الأخ لأخيه : أسأل الله أن يجعلك مفتاح خير ، وهذه حاجتي إليك ، فإن قضيتها حمدت الله وثم شكرتك ، وإن لم تقضها لي حمدت الله وعذرتك ، هذه هي الأخوة .

الحق الخامس : بذل النصيحة بصدق وأمانة

ففي صحيح مسلم من حديث تميم الداري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « **الدِّينُ النَّصِيحَة** » قلنا : لمن يا رسول الله ؟ قال : « **لله وَلِكِتَابِهِ**

وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ))[1].

ومن الواجب على الناصح أن يكون فاهمًا للضوابط الشرعية للنصيحة .

قال الشافعي : من نصح أخاه بين الناس فقد شانه ، ومن نصح أخاه فيما بينه وبينه فقد ستره وزانه .

والناصح الصادق : رقيق القلب ، نقي السريرة ، مخلص النية ، يحب لأخيه ما يحب

---

(١) **صحيح** : رواه مسلم رقم (٥٥) في الإيمان .

لنفسه ، فإن رأى أخاه في عيب دنا منه بحنان ، وتمنى أن لو ستره بجوارحه لا بملابسه ، ثم قال له حبيبي في الله . ثم يبين له النصيحة بأدب ورحمة ، وتواضع .

فلتُشْعِر أخاك وأنت تنصحه : بحبك له ، وبتواضعك وخفض جناحك له ، فقد سطر الله في كتابه ﴿ **مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ** ﴾[الفتح : ٢٩]

جلس رجل يومًا في مجلس عبد الله بن المبارك فاغتاب أحد المسلمين ، فقال له عبد الله بن

المبارك : يا أخي هل غزوت الروم ؟! قال : لا . قال : هل غزوت فارس ؟! قال : لا . فقال عبد الله بن المبارك : سلم منك الروم وسلم منك فارس ، ولم يسلم منك أخوك !!

والذي بُذِلَتْ له النصيحة عليه أن يحسن الظن بأخيه الناصح ولا تأخذه العزة بالإثم ، وأن يتقبلها منه بلطف ، وأدب ، وتواضع ، وحب ، ثم يشكره عليها ويدعو له بظاهر الغيب

ورحم الله من قال : رحم الله من أهدى إليَّ عيوبي .

الحق السادس : التناصر

عن أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا** ، فقال رجل : يا رسول الله أنصره مظلومًا فكيف ننصره ظالِمًا ؟ فقال ﷺ : « **تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ** »[1] ، وفي رواية قال رجلٌ : يا رسول الله انْصُرُهُ إذا كان مظلومًا أفرأيت إذا كان ظالمًا كيف أَنْصُرُهُ ؟ قال : « **تَحْجُزُهُ أو تَمْنَعُه مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ**

(١) **صحيح** : رواه البخاري رقم (٢٤٤٤) في المظالم .

نَصْرُهُ »[1]

انصر أخاك في كل الأحوال ، إن كان ظالمًا خذ بيده عن الظلم ، وإن كان مظلومًا وأنت تملك أن تنصره انصره ، ولو بكلمة و إن عجزت فبقلبك ، وهذا أضعف الإيمان .

---

(١) **صحيح** : رواه البخاري (٦٩٥٢) في الإكراه ، باب يمين الرجل لصاحبه أنه أخوه إذا خاف عليه القتل .

الحق السابع : أن تستر عيب أخيك المسلم وتغفر له زلاته :

وهذا من أعظم الحقوق : فالأخ ليس مَلَكًا مقربًا ، ولا نبيا مرسلًا ، فإن زلَّ الأخ في هفوة فهو بشر ، استر عليه .

قال العلماء : الناس صنفان . صنف اشتهر بين الناس بالصلاح والبعد عن المعاصي ، فإن زلَّ ووقع وسقط في هفوة من الهفوات فعلى المسلمين أن يستروا عليه ، ولا يتبعوا عوراته .

عن أبي برزة الأسلمي ﷺ أنه ﷺ قال : ((يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ ، وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ قَلْبَهُ لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَتَبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَاتِهِمْ ، تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ ، وَمَنْ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ ، يَفْضَحهُ فِي بَيْتِهِ))[1].

نسأل الله أن يسترنا وإياكم بستره الجميل .

---

(١) رواه أبو داود رقم (٤٨٨٠) في الأدب ، باب في الغيبة ورواه أيضًا أحمد في المسند (٤/ ٤٢١) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٤٠٨٣) .

والصنف الثاني من الناس : يبارز الله بالمعاصي ويجهر بها ، ولا يستحي من الخالق ، ولا من الخلق ، فهذا فاجر ، فاسق ، لا غيبة له .

وأخيرًا : الطريق إلى الإخوة .

وأنا أعتقد اعتقادًا جازمًا أن الطريق قد وضح في ثناياه ، ولكنني أجمل هذا الطريق في خطوتين اثنتين لا ثالث لهما .

أما الخطوة الأولى : العودة الصادقة إلى أخلاق هذا الدين .

إِنَّمَا الأُمَمُ الأَخْلَاقُ مَا بَقِيَتْ
فَإِنْ هُمُ ذَهَبَتْ أَخْلَاقُهُمْ ذَهَبُوا

فلنعد إلى هذه الأخلاق السامية التي ينفرد بها الدين الإسلامي لتعود لنا الأخوة الصادقة في الله ، لتعود الأخوة الحقيقة .

فوالله ثم والله لا ألفة ، ولا عزة ، ولا نصرة ، ولا تمكين ، إلا بالعودة الصادقة إلى أخلاق هذا الدين ، وإن شئت فقل العودة الصادقة

إلى أخلاق سيد المرسلين ، فلقد لخصت أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - أخلاق النبي ﷺ في كلمات قليلة ولكنها عظيمة فقالت « **كَانَ خُلُقُهُ القَرْآنَ** »[1] نعم والله إنه ﷺ كان قرآنًا يمشي على الأرض في دنيا الناس .

أيها الأحبة : قد يكون من اليسير جدا - كما أقرر دائمًا - تقديم منهج نظري في التربية والأخلاق ، بل إن هذا المنهج موجود بالفعل

---

(١) **صحيح** : رواه مسلم رقم (٧٤٦) في صلاة المسافرين ، باب جامع صلاة الليل ، ومن نام عنه أو مرض .

وسُطِّر في بطون الكتب والمجلات ، ولكن هذا المنهج لا يساوي قيمة الحبر الذي كتب به إن لم يتحول في حياة الأمة مرة أخرى إلى واقع عملي ، وإلى منهج حياة فإن البون شاسعٌ بين منهجنا المنير المضيء وواقعنا المر المرير الأليم .

الخطوة الثانية : نتحرك لدعوة المسلمين إلى هذه الأخلاق بالحكمة والموعظة الحسنة .

بعد أن نحوِّل هذه الأخلاق النظرية إلى واقع عملي منير مضيء في حياتنا يجب علينا

بعد ذلك أن نتحرك لدعوة المسلمين إلى هذه الأخلاق بالحكمة البالغة والموعظة الحسنة ، والكلمة الرقيقة الرقراقة ، والرفق والحلم ، فهذا هو مقام دعوة الناس إلى الله في كل زمان ومكان قال الله تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[النحل : ١٢٥]

وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى

الله ﴾ [آل عمران : ١٥٩]

أسأل الله أن يربط على قلوبنا برباط وثيق رباط الحب في الله ،حتى نعود مرة أخرى إلى عزتنا وكرامتنا وسيادتنا وتتحقق السنن الربانية فينا بحوله ومدده إنه ولي ذلك والقادر عليه .